(المكَانُ للغُرابِ أيضَاً)

_ أجنحة، توقيعات، شقائق وملامح _

_ شوقي مسلماني.

\\

"ها

أنا هذا".

د. رغيد النحّاس.

\\

ذهابٌ آخر

وإيابٌ آخر.

(1)

جميعُهم نظرٌ أبعد،

قائمون على خدمة تائه واسترضائه،

بعضهم صار مروحةً مخفِّفاً من سطوةِ الحرّ،

بعضهم صار خزانةً تحفظ أشياءَه،

بعضهم صارَ نقوشاً تُذكِّرُ أنّ الحياةَ فنّ،

والذي يُفسِح للمرور، للطيور،

للسماء الزرقاء الثمينة،

والذي صار هاتفاً لئلاّ تقتله العزلة،

والذي صار سريراً يسهر لراحتِه

من إنكسارِ ظهرِه.

(2)

من يتّكىء إلى

خريطةٍ مثقوبةٍ

سيقع من الثقب.

الآخرُ كأنّما هو

ليقعَ في فخِّ الحيرة.

محاولةٌ بالعضّ،

أدواتُ إنتاجٍ محطّمة،

المشهدُ غيره في كلِّ حقبة

والكسور كثيرة بعدُ في رأسِ الدم.

يلجأ إلى

مغارةِ قلبِه.

كلٌّ بعدُ في

غربةِ غربتِه.

من يصرّ على خريطةٍ مثقوبة

سيضلّ أكثر إلى الثقبِ الأسود.

لا أسهل من

صيد الكسالى.

لا صيد أسهل

من صيدِ الكسالى.

الدروسُ لا تنتهي

وكم سنحتاج للحظّ،

الحظُّ السيّءُ ثلثاهُ الإهمال

والمجنون يقول إنّه الأعقل.

الدوائر أكثر،

الرؤوس أقلّ.

"لم يولدمن قضى ورجع

ليخبرنا بهذه التفاصيل المملّة".

الوقوفُ

على قدمين

يحتاج إلى رأس.

كلُّ متردِّد

ينتظر خلفَ الباب.

الذي لا يعلم المعوجّ فيه

يجهل كثيراً حقيقةَ ذاته.

لا يُسِرُّ المشعوذَ

مثل التشكيك بالعِلم.

باردٌ كالثلج،

عاقلٌ وحكيم.

"الإله "لسان"، الإله "يهوه" والإله "بلال".

وهبَ الإله لسان سكّانَ الأرض لغةً ليتفاهموا بها.

علِمَ الإله يهوه واستاءَ من أبعاد وحدةِ اللّغة بين الناس،

من إمكان إكتسابهم لقدرات هائلة جرّاء هذه الوحدة،

اعتقاداً راسخاً أنّ طريقَ التفاهم بينهم _

على ما تقول الأسطورة العربيّة _

ستجرّ إلى تعاون وتناغم وتكافل وتكاتف،

وكنتيجة قد يتنادوا إلى إستقلالهم عن سطوتِهِ،

انطلقَ من فوره قاصداً الإله بلال _ إله البلبلة،

مستغِلاً تناقضه الأبدي مع الإله لسان،

وحرَّضه فبلبل ألسنةَ الناس، وهم من كلِّ جنس ولون،

بعد صراع فظيع مع الإله لسان نتجَ عنه ضعف الإلهين،

وساد يهوه عليهما، كما ساد على الناس بمقدار ما تفرّقوا".

أكّد عالِمٌ بإكتشافاته

أنّه يريد معرفة كيف يعمل عقلُ إلهه.

لم يعثر عليه في السماء،

قال أنّه موجودٌ في رأسه،

لكن في أيّ خليّة؟.

لذا اخترع خوذةً الكترونيّةً سمّاها "خوذة الله"

لمعرفة الخليّة المعنيّة،

تركيبها الكيميائي وآليّة عملِها الفيزيائي!.

سيأتي يوم وستؤخذ منك عيّنات،

أنت الآن قُلْ مقدّس، وكم من مقدّس ذبُلَ أو جفّ

بعد أن ذبلتْ أو جفّتْ حكايتُه وانتهى في متحف،

ومن العيّنات سنعرف

ما إذا كانت الوفاة طبيعيّة أم بالسمّ؟.

الكسوف والخسوف

صارا إلى مظاهر فِرجة.

لا أحوج

إلى طبيب نفس

مِن المطمئنّ.

الناس

ليسوا حجارة

وفي أحيان هم.

..

يريدني أن أصبَّ جامَ غضبي

على الذين كانوا يقتلون دزّينةً من مدنيّيه

مقابل مقتل كلّ نازي.

أنا شخصيّاً لستُ بحاجة إلى من يحثُّني

لأصبّ جام غضبي.

أنا يُقتَلُ منّي مئة مدني لا دزّينة

إنتقاماً لمقتل كلّ نازيّ جديد.

الإنفجارُ هو

من خارج إرادةِ الناس،

إنّه نتاجُ يأسِهم.

الإنفجار هذا هو

من خارج إرادةِ الناس،

هو نتاجُ يأسِهم.

"لا قيمة لكلِّ قلم

لا يعبِّر عن الألم".

المرءُ بمعرفة

حقيقة مشاعره.

لكلِّ رأس طريق

ولكلِّ طريق رأس.

صوامع، جوامع، كنائس،

يتنقّل بينها مكرِّزون ومتعبِّدون

بوجوه لوّحتْها شواطئ البحار

والمصايف الجبليّة والمنتزهات،

وهذا شرطٌ من الشروط.

أحدٌ منهم لم يغادر طريقَ الكرز،

لا يهبونَ قلوبَهم عبثاً ومتصالحون دائماً مع الحبّ.

المنتجون "كومبارس"،

المؤمنون يعتقدون راسخين أنّ الله يرى،

والأبناء يتوارثَون عن الآباءِ ما لا يُحصى من الألمِ والعبث.

القبول قبلَ الإعتياد

أم الإعتياد قبلَ القبول؟.

الوقائع ثابتة

والسمّ لا يترك حيّزاً.

تمساح ينمو

على الهامش.

أنيابُ الخصخصة

تمزّقُ بدولة الرفاه.

أُروِّضُني عقوداً

ولا أزال أحبّ وأكره.

أُروِّضُني عقوداً

ولا أزال أحبّ وأكره؟!.

أقول،

وشرطي أن لا أقول.

ما ارتفعتْ نبرة

إلاّ من شبهةِ جاهليّة.

ما ارتفع صوت

إلاّ شبهة جاهليّة.

ميْت في

كلِّ غائب.

ذاهلةٌ

حواسُّ الميْت.

كلّما

ماتَ طفلٌ فينا

اتّسعتْ صحراء.

الإدراكُ المتأخِّر

كثيراً في الهاوية.

"السفينة لها رُبّان

ولكنّها لا تمخر البحر

من دون طاقم".

"الله لا يستجيب أم

المسألة هي في أيدينا"؟.

والعقلُ هو

لإدارة هذا العبث.

(3)

بإنتظار خلل

في موازينِ القوى.

"اعملوا ما تشتهون

ولكن ضمن حدود ما توافقنا،

وإذا ثاروا نحن نُهدِّئُهُم،

نقولُ لهم: نحن نؤمن، نستغفر،

وإليه وحده نشكو"!.

العدَمُ يعملُ

على أكثر مِن خِطّة.

"أبوه النهر وأمُّه حوريّة، وُلِدَ آيةً في الجمال،

حذّرَهُ العرّافون أن لا يقترب من النهر إذا أراد أن يعيش ويعمّر،

ولجَمالِه تحلّقتْ حوله حوريّات وبشريّات وأحبّتْهُ الحوريّة "آيكو"،

لم يبادلها المشاعر ، شكَتْه لـ "أفروديت" _ ربّةِ الجَمالِ والحبّ _

التي غضبت ولعنتْه بأن يستغرق ناظراً إلى نفسه.

أغراه عدوٌّ لكي يشرب من النهر وراهنَه تحدياً أنّه لن يقدر .

اقتربَ من النهر ورأى على صفحةِ الماء أجملَ ما رأته عيناه.

وقعَ في حبّ نفسه، أدمنَ النظرَ إلى ذاته.

وهو يوماً مفتتن سقطَ في بحيرةٍ ومات غرقاً،

وحيث غرِقَ نبتتْ زهرةُ النرجس.

جاءت الحوريّات فوجدن البحيرة مستودع دموع مالحة،

سألنها عمّا بها؟، قالت، كما في الأسطورة اليونانيّة:

"أبكي على نارسيس".

السنواتُ

تعمل يدويّاً.

الستارةُ

يسدلُها صبيّ.

يجب أن يكون الردُّ

بحجمِ فقدانِ الثِقة.

شبهةُ

نملٍ أبيض.

لا يتصالح مع ذاته

من يخاصم الموسيقى.

لن يتصالحَ مع ذاتِه

من يخاصم الموسيقى.

من يخاصم الموسيقى.

أبداً لن يتصالحَ مع ذاتِه.

أكبادٌ وأفئدة

هذه الحجارة.

العدوّ ذاتٌ لا تعرف

كيف تحافظ على صديق.

أيّ حكمة

من السعي دون مِجسّات؟.

مرحباً، أنتَ لا تعرفني،

وجهكَ في الزاوية والآخَر سلاحُه عليك،

لم أكن حبيبك، لم أكن سياجك،

لم تجروء يوماً على دخولِ سينما أو مطعم

أو مسبح أو مسرح فيه الآخر،

كنتَ ترث الرمل،

وذاتها "كونداليزا" تعوم في بحرِ دمِك،

تُقطّع في شراييناك طوالَ الأسبوع

ويومَ الأحد تعزف على بيانو.

الإمبرياليّة لا تمنح

أوطاناً ذات سيادة،

تمنح كانتونات للإبادة.

العنصريّة

دوابّها كُثُر.

هذا صوت

ليس فيه رِقّة.

"نظام دولي شرِه

لا يُؤمَن ولا يُؤمِن بغير دينِ الربح،

إتّفاقاتٌ ظالمة،

سيطرةٌ على الموارد من دون اعتبار لقيم الحياة،

تهدف إلى تكديس الأرباح

بموازاة تكديسِ القتلى والممنوعين من الأمل".

السؤال هو إذا المِحرقة

تعني أنْ يُحرق شعبٌ آخر؟.

شياطين، ويظنّون

أنّهم كلّهم ملائكة.

لا أحد

يعتذر في الغابة.

الريح

يصيبُها جنون.

وعندما

أوّل إمتحان

بالفشل.

(4)

الطريقُ الجريحة، كلُّ الطريقِ الجريحة.

العصافير الكسيرة، كلُّ العصافير الكسيرة.

الأرواح المتحجّرة، كلّ الأرواح المتحجّرة.

ولا شيء بوضوح هذه القسوة.

كرّاز

لجنونِ العنز.

عواءُ ذئب

هذا المصحّ الجوّال.

لا حياةَ

لمن لا يدرك.

لا حياةَ

لمن يدرك ولا يتهيّب.

لا، ليسوا قِلَّة

أولئك الذين لم يتلوَّثوا.

عمّا تبحث فيما تقول،

عمّا تبحث فيما تقلق وتأرق،

فيما ترقد وتتأمّل عمّا تبحث،

فيما ترسم، فيما تكتب، فيما تفتح عينيك،

عمّا تبحث؟.

عمّا تبحث عندما تدمع حزناً،

عمّا تبحث عندما تدمع فرحاً،

عمّا تبحث عندما تشير إلى جهة،

عمّا تبحث عندما تكاد تختنق،

وعندما بأعلى صوتك تضحك عمّا تبحث؟.

ما الإشكال أن تكون فيك وأن تكون في غيرك؟،

ما الإشكال أن تكون عكّازَهم وأن يكونوا عكّازَك؟.

"الإنسان أنشأ كلباً من ذئب بحقبة 20 ألف سنة،

فانظرْ ماذا يمكن للطبيعة أن تنشئ بمليار سنة".

كلُّ شيء هو

ليكون كلّ شيء.

العالي، المنخفِض، المُرسَل، المُغلَق، المطمئنّ،

المظلم، المنير، العاقل، الجاهل، المقيم، التائه،

الواتِر، الموتور، الجهات، النمل، الرمل، الكلّ.

صدفةٌ

تقفُ على قدمين

ولا تعرف هي إلى أين؟.

جيّدٌ حظُّه أم سيّئ

إذا هو لا حظّ له؟.

وكلُّ شيء صامت _

مشهدُ الحيّ _ الميْت.

(5)

السؤال والجواب

يحتاجان إلى حدْس.

كانت تسبح قرب الشاطئ،

ظنّها سمكة، أهرع إليها رافعاً شبكة،

هربت منه مذعورة، رآه ريّس سفينة صيد كانت بالجوار،

ظنَّ أنّ الصيد في وفير،

صاح بالصيّادين أن يلقوا الشِباك بسرعة

ويحاصروا كلَّ المنطقة!.

أَغمضَ عينيه _ اختفتِ الشمس،

فتحهما _ رآها في كبدِ السماء،

أغمضَهما وفتحهما _ اختفتْ وحضرت،

أغمضَهما وفتحهما _ اختفتْ وحضرت،

إنّه مطلوب حيّاً أو ميتاً.

كان العصفور يقفُ عند أعلى شجرة،

سبقَ بأثَرِه على صيّاد كان يقف تحتها ويصوّب بندقيّته صوبه،

وطار "زيك زاك" كأَنَّه يرقص.

على هذا النحو

جهاتُ بيتِ العاصفة.

الزمن الكتروني

والعقل طواحينُ الهواء.

ظلُّه يركض على الحيطان

ولا ظلّه المتهالك في الطريق.

المُدرِك يتهيّب

أن يكون موضعَ شكّ .

المُدرِك لا يتصالح

مع ما يُنتِجُ القهرَ.

ليس الظلامُ قليلاً،

الظلام مترامي الأطراف.

لكلِّ خسرانٍ ثمنٌ

لا يحتملُ المراجعة.

الدائرة أم أنا الحصار؟،

الحصار أم أنا الدائرة؟.

ترتيبُ حياةٍ

صناعةٌ عمياء.

هذا الفضاء فوضى إلى أقصى نقطة

تجعلني أجزم أنّي لو لي يد لأقتربتُ على نحوٍ أرقّ،

ما حاجتنا لأحزمةِ الصخور، لأي حاجة تولد كواكب، أقمار،

وتموت نجومٌ إختناقاً أو إنفجاراً

ومعها عوالم لا عدّ ولا حصر لها، جاهدتْ

لتكون ذرّةً ذرّةً، ولبلايين السنين، كأنّ كلّ هذه العمارات

الهائلة، المضيئة، المظلمة، المبصرة، المغمِضة، الواقفة، القاعدة،

الماسيّة، الذهبيّة، الفضيّة، الحجريّة، المائيّة، الغازيّة،

لكي تغرق ممزّقةً في الثقبِ الأسود الذي عنده يتجمّد حتى الوقت،

وما سبقَ هو أقلّ من رأس إبرة في مجرّتنا _ دربِ اللبّان _

التي هي واحدة من بين أكثر من 200 ألف مليون مجرّة،

ومجرّتُنا ذات المئتي بليون شمس وترليون كوكب وقمر

وسُحب لا تنتهي من الحجران والصخور هي مجرّد ربّما طفل يحبو

بالنسبة لأجسامِ زميلاتها الديناصورات.

وبالمناسبة مشت الديناصورات على الأرض قبل 65 مليون سنة،

كان بعضها بطول 10 طوابق، ولكنّه الكون الذي كلّه فوضى،

لكنّها الفيزياء، الكيمياء، ما تشاء، في جبروتِ وعظمةِ المادّةِ الساخرةِ، الخالدة.

انقضتْ ملايينُ السنين،

كانت الأرضُ ملعب الديناصور،

كان جسمه ضخماً وفكّه عظيماً،

ضاعَ صوته _ إمّحت خطوته، وها هو

منه بعدُ حجر.

انخفضَ منسوب الوعي الطبقي،

ارتفعَ منسوب طنين الذباب الأزرق.

قال الثعلب: "ليكن خمٌّ للدجاج"،

وكان ما قال الثعلب وكان خمٌّ للدجاج.

قال الذئب: "ليكن للخرافِ سياج"،

وكان ما قال الذئبُ وصار للخرافِ سياج.

وهذا يقول وذاكَ يقول وذيّاك يقول.

دمٌ كثير يُسفك

تحت عين الشمسِ

من أجلِ حيّزِ ثلج.

(6)

"الإمبراطور الياباني هيروهيتو،

إبن إله الشمس، يضع نظّارات طبيّة".

قلاعٌ وحصون

تُسوَّى بالأرض.

أنيابٌ ومخالب، وأحدٌ

بعدُ لا يقدر على اللّحاق،

شعوبٌ أبيدتْ وشعوبٌ تباد.

جعلوا كلاً منّا

يلاكمُ كلاً منّا.

مِن البُعدِ مصالحة

ومِن الإقتراب مصالحة أقلّ.

الدِينُ ملجأُ المجروحين،

القوميّةُ غضبُ الطبقةِ الوسطى،

الشيوعيّةُ وردةُ الضميرِ الحمراء

والحظُّ هو العُشر الأخير للفوز.

هو سيّئةٌ إختياراته

أم يأتي دائماً متأخّراً؟.

لا بصمة لفرد

بل وجوه فرِحة.

الحبّ أجمل

ما يصيبُ الإنسان.

الحبّ هو

سفينةُ النجاة القاريّة.

الحريّة لوحة،

الديمقراطيّة إطار.

الإبتسامة عابرة

في إبتسامةٍ عابرةٍ في

إبتسامةٍ عابرة.

ويمرُّ على أحياء،

يمرُّ على موتى، على عمائر بائدة،

ومِنْ مدينة إلى مدينة ومِنْ ظلّ إلى ظلّ،

يخرجُ مِنَ الماء، يدخلُ في الماء،

والمكان للغراب أيضاً.

(7)

المشهد في كلِّ حقبة هو غيره،

والكسورُ كثيرة بعدُ في رأسِ الدمّ.

لا يريد الإنتهاءَ

عن طيب خاطر.

كلُّ احتمالٍ هو مِن

احتمالاتِ الصدفةِ

لئلاّ يكون الملالُ أكثر.

غريبان في الرمل على حذَر،

أحدهما بلا مطر وثانيهما بلا أثر.

كي تمرّ فضيحة يجب

أن ينفضحوا جميعاً.

الأجمل هو مَن

ينذرُ عمرَه للأجمل.

البلادُ ليستِ هذه الشمس الرقيقة،

ليست هذه الخضرة ولا ينابيع السكّر،

البلادُ أهلُها _ الفجرُ الآخر.

صديقي داني غاردنر _ الشاعر الأسترالي،

بالنيابةِ عن روح وقلب أمّي وأبي المهاجرين،

بالنيابة عن عيونِ كلِّ الغرقى في بحارِ العالم

وعيونِ كلِّ المعذّبين المعتقلين

في مراكزِ الإحتجاز _ معسكرات الإعتقال،

حين ترفرف كلماتُك

إسمُكَ مزيّن بالغاردينيا.

عند خطِّ الإستواء

الأقرب إلى الشمس،

القلب مفعمٌ بالحبِّ

وفي ذروةِ الذروة.

(8)

ربّما المسألةُ هي مثلما الرؤية من وراء حجاب كاشف.

ما قد تحتجّ به هو أيضاً مؤسّسة، الأخلاقُ السائدة، الجماعاتُ السائدة،

الأطروحاتُ السائدة، الأسماءُ، الطعناتُ المتبادَلَة.

ميدانُ القتال يلحقُهُ التحديث،

العينان الإثنتان، العينُ الثالثة المقتلَعة عن سابق تصميم ورصد،

الجُنَحُ، الجنايات، الذين هُزِموا ونهضوا.

أن تعيشَ كريماً أو أن تموتَ عزيزاً عند ذروة.

ورقة قبلها ورقة وبعدها مجرّد ورقة في كتاب صدْفة، خطأ وحظّ.

وليس ربّما بل بالتأكيد، هذا الخلل أيضاً مِنْ عيوبِ هذه المؤسّسة.

المناقير جارحة

والعيون مغمضة.

..

"وجوهٌ ذاهلة

والحرارةُ فوق الأربعين.

لا قطرة ماء، المشهدُ يتكرّر.

مهيضو أجنحة ومسافات سنوات.

شِباكُ صيّادي السمك في البحارِ البعيدة

لا تزال ترفع عظاماً بشريّة.

لا نفع بعدُ من رفع تقارير للجهاتِ الرسميّة المعنيّة،

الحرائقُ في الوجوه من أثر خليطِ الملحِ والنفط،

من أثرِ نفاقِ العالم.

لا تقلْ إنّي أسأتُ فهْمَك، إنّك لا تكره، إنّ القلوب تقسو أحياناً،

لا تقلْ إنّك تطلق الرصاصَ فوق رؤوسهم لجماً للإكسودس _ للرحيل الأعظم،

فقط قلْ هم لا يشبهونك".

إلى أين يرجع حين يذهب؟،

وإلى أين يذهب حين يرجع؟.

يستدلُّ بالبحر

ولا أثر لخطوة.

أيُّها النسِر، ملقى مِنْ سمائك، مطعونٌ في قلبِ قلبِك.

المسافةُ، وكلُّ مسافة، جفّتْ، وليس بعدُ إلاّ خردة ظِلّك في الملحِ الواسع.

يا رئيس الطيور قلْ أي شيئ إلاّ إنطفاء جناحيك، إلاّ التشنّج في قبضتيك

وإلاّ هذا الذهول في صفاء سماواتِ عينيك.

دخلوا إلى الحكاية

التي لم تكن حكاية،

وقعوا في الأسر

مع الصخورِ والسمّ.

أقولُ فأصمت وأصمتُ فأقول.

صمتٌ في الكلام وكلامٌ في الصمت.

الصمتُ قبل العاصفة والصمتُ بعد العاصفة.

السمُّ يتقيّأ خدودَه والسقوطُ أعلى مِنْ برجِ الهاوية.

يصعد ويقول: عتمة،

ينزل ويقول: شمس في كبد السماء،

ينقطع ويقول: زهور، ورود وعصافير،

يجتمع ويقول: رماد.

الضوءُ كلُّه لكم، فقط

اتركوا لي هذه الكرسيّ الهزّاز.

(9)

يُقالُ أخيراً ما كان

يجب أن يُقال أوّلاً.

الأصلُ طرفة

والواقع كذبة.

بعوضةٌ تريدُ دمّي

وأنا أثقِلُ جناحيها بالعطر.

خرج كالعادة

وكالعادة لم يرجع.

ماذا عندما توقِد للدُخان

وماذا عندما الذهاب قليلُ الإياب؟.

سُمِعَ صمت

أعقبَتْهُ صرخة.

أعطني الزجاجةَ

لكي ينامَ النملُ وأخرجَ قليلاً.

"كنّا شباباً نخشى الموت

على إعتبار أنّه أصعب ما يصيب الإنسان،

وبعدَ كلّ هذا العمر أعرفُ الآن إنّ الموت

هو الأسهل بالمقارنة مع ما يصيب الإنسان

من عجزٍ، من عللٍ وآلام".

"كلُّ ما تبقّى

وقد تراكمتْ سنواتي التي تثقل كاهليّ

أن يعمل أبنائي بوصيتي: ألاّ يبالغوا بالأحلام".

ينقطع، يلتئم، ينقطع، يلتئم، ينقطع،

يلتئم، ينقطع، يلتئم، ينقطع، يلتئم، ينقطع.

شهيقٌ وزفير وشهيقٌ وزفير

وشهيقٌ وزفير وشهيقٌ وزفير.

وعابر

في عابرة.

(10)

بيروتُ، ماذا حدث يوم 4 _ 8 _ 2020؟.

كان الوقتُ مساءً بعدَ صخرِ يومٍ طويل وبعدَ ألمِ يومٍ طويل.

كان المساء مطمْئِناً، لن تكون الليلة أكثر سوءاً _

صوتُ الوحش يضجُّ من كلِّ ناحية _

سيطرَ الوحشُ على كامل عقل الوحش _

بيروت طلقة، صداها، وسيفٌ يهوي.

**

ملايين السنين انقضتْ

والهيكلُ العظميّ لا يزال بإنتظاركم

لكي تنظروا ولكي تعلموا

ماذا كنتم وكم صرتم جميلين.

**

Shawkimoselmani1957@gmail.com

"لم تُنشر ورقيّاً أيضاً"..2020.